
الدار الآخرة
علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وانقضت
الشيخ ندا أبو أحمد
شبكة
الألوكة
www.alukah.net



الــدَّارُ الآخِــرَةُ

(14)

عَلامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى

التي ظهرت وانقضت







الدَّارُ الآَخِرَة

(علامات السَّاعَة الصغرى التي ظهرت وانقضت)

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..........

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } **[سورة آل عمران: 102]**

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} **[سورة النساء: 1]**

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} **[سورة الأحزاب:70-71]**

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله – تعالى – وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

تنقسم أمارات السَّاعَة الصغرى إلى ثلاثة أقسام:-

القسم الأول: الأمارت الصغرى التي ظهرت وانقضت.

القسم الثاني: الأمارات الصغرى التي ظهرت ولازالت تتتابع.

القسم الثالث: الأمارات الصغرى التي لم تظهر.

أولاً: العلامات الصغرى التي ظهرت وانقضت

وهي:-

1- بعثة النبي **صلى الله عليه وسلم**.

2- انشقاق القمر.

3- موت النبي **صلى الله عليه وسلم**.

4- موت يأخذ في المسلمين كقصاص الغنم.

5- فتح بيت المقدس.

6- فتنة اقتتال المسلمين.

7- ظهور الخوارج.

8- خروج نار من أرض الحجاز.

9- فتح القسطنطينية الأول.

10- كثرة الأموال بين الناس والاستفاضة.

11- توقف الجزية والخراج.

12- شيوع وانتشار الأمن والرخاء في البلدان.

13- قتال الترك (التتار والمغول).

أولاً: الأمارات الصغرى التي ظهرت وانقضت

ومنها:-

1- بعثة النبي صلى الله عليه وسلم:

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعثته دليل وعلامة على قرب السَّاعَة، وأنها أول أشراط السَّاعَة الصغرى

- فقد أخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلي الإبهام، وقال: بعثت أنا والسَّاعَة كهاتين".

- وفي رواية أخرى لهما بزيادة: "ويشير بأصبعيه يمدها".

- وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بُعثت أنا والسَّاعَة كهاتين، كفضل إحداهما على الأخرى، وضم السبابة والوسطى" [1]

أي كما تفضل إحداهما الأخرى.

ويدل على ذلك رواية الترمذى قال: "بُعِثت أنا والسَّاعَة كهاتين – وأشار أبو داود، بالسبابة والوسطى – فما فضل إحداهما على الأخرى؟"

- وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبي جبيرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"بعثت في نَسَم السَّاعَة" (صحيح الجامع:2832)- (لسلسلة الصحيحة:808)

و"نسم السَّاعَة" كما يقول ابن الأثير رحمه الله: "هو من النسيم، ويدل على ذلك رواية الدولابي في "الكنى"(3/1): "بُعِثْت في نَسيم السَّاعَة "وهو أول هبوب الريح الضعيفة".

فيكون المعنى: أي: بعثت في أول أشراط السَّاعَة وضعف مجيئها.

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله كما في كتابه "التذكرة" (73/1) متحدثاً عن أشراط السَّاعَة الصغرى: أولها النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بُعِثَ وليس بينه وبين القيامة نبي. اهـــ

وفي كتب السيرة: "أن اليهود كانوا يتحدثون عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أنه يبعث مع السَّاعَة".

---

(1) قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (349/11): قال عياض وغيره:"أشـــــار بهذا الحديث على اختلاف ألفـــــاظه إلى قلة المدة بينه وبين السَّـــاعَة، والتفاوت إما في المجــــاورة، وإما في قدر ما بينهما، ويعضده قـــــوله: "كفضل إحداهما على الأخرى"، وقـــال بعضهم: "هذا الذي يتجه أن يقال، ولو كان المراد الأول لقامت السَّاعَة، لا تصال إحدى الإصبعين بالأخرى.

- قال ابن التين: "اختلف في معنى قوله: "كهاتين"، فقيل: كما بين السبابة والوسطى في الطول، وقيل: المعنى ليس بينه وبينها نبي.

- وقال القرطبي في "التذكرة": "معنى هذا الحديث: تقريب أمر السَّاعَة، ولا منافاة بينه وبين قوله في الحديث الأخر: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" فإن المراد بحديث الباب: أنه ليس بينه وبين السَّاعَة نبي كما ليس بين السبابة والوسطى إصبع أخرى، ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه، لكن سياقه يفيد قربها وأن أشراطها متتابعة، كما قال تعالى: { فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا} [محمد:18].



2- انشقاق القمر:

وانشقاق القمر علامة على قرب السَّاعَة؛ **ويدل على ذلك قوله تعالى:**

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَة وَانشَقَّ الْقَمَرُ{1} وَإِن يَرَوْا آية يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} [القمر:1-2]

قال النووي رحمه الله: "قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد رواها عدة من الصحابةﷺ، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يفنِيه ويُكوِّره في آخر أمره...". (شرح النووي على مسلم:143/17)

وقال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (469/6) عند الحديث عن انشقاق القمر:

"قد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبيصلى الله عليه وسلم، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.اهـــ

– وقد ساق ابن كثير رحمه الله الأحاديث الوارده في انشقاق القمر عند "تفسير سورة القمر" ومنها:– ما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال:

"إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر"

– وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم أيضاً عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

"بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى؛ إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهدوا".

تنبيه:

حط علماء الفضاء في هذا العصر رحالهم على القمر، فوجدوا أثر انشقاق القمر باقياً إلى اليوم، وقد نقل عالم الجيولوجيا المسلم د. زغلول النجار عن داود موسى بيتكوك (رئيس الحزب الإسلامى البريطاني) أنه شاهد ندوة تلفزيونية بين معلق بريطاني وثلاثة علماء فضاء أمريكيين أنهم شاهدوا أثر انشقاق القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه الآخر، أخبروا بذلك، وهم لا يعلمون ان الله تحدَّث بهذه الآية في قرآننا، وقد كانت هذه الآية سبباً في إيمان ناقل الخبر داود موسى.

(نقلاً عن مجلة العالمية الكويتية.العدد 156)

3- موت النبـــي صلى الله عليه وسلم:

موت النبي **صلى الله عليه وسلم** علامة من علامات السَّاعَة ويدل على ذلك ما أخرجه البخاري عن عوف بن مالك ﷺ قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهو في قبة أدم[1]، فقال: اُعدد ستاً بين يدي السَّاعَة: موتي..." الحديث

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ست من أشراط السَّاعَة: موتي" (وهو ضعيف ولكن يشهد له ما قبله)

وكان موت النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب التي أصابت المسلمين

– فقد أخرج البيهقي في "شعب الإيمان" أن الحبيب العدنان صلى الله عليه وسلم قال:

"إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب"

قال صاحب كتاب "تسلية أهل المصائب" لأبي عبد الله محمد بن محمد المنبجي الحنبلي: "ومن أعظم المصائب في الدين موت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم؛ لأن بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النُّبُوَات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد الذين ارتدوا عن الدين من الأعراب، فهذا أول انقطاع عُرَى الدين ونقصانه... وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى. اهـــ

ويصور لنا أنس بن مالك ﷺ الفجيعة التي أصابته وأصابت الصحابة جرَّاء موت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ﷺ كما في "سنن الترمذي" بسند صحيح:

"لما كان اليومُ الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ أضاءَ منها كلُّ شيء، فلما كان اليومُ الذي مات فيه أظلمَ منها كل شيء".

وقفة:

سيأتي على الناس زمانٌ يتمنوا فيه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حتى لو خرجوا من أموالهم وأولادهم.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"ليأتينَّ على أحدكم زمانٌ لأن يراني أحبَّ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله".

(1) قبة من أدم: أي: خيمة من جلد.



4- موت يأخذ في المسلمين كقُعَاص الغنم:

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من علامات السَّاعَة داء يصيب المسلمين فيقضي على كثير منهم ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن عوف بن مالك[1] ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"اُعْدد ستاً بين يدي السَّاعَة – وكان من جملة الست – مُوتَان[2] يأخذُ فيكم كقُعَاص الغنم[3] "

وقد وقع ذلك في بلاد الشام بعد فتح بيت المقدس(16ه)، حيث انتشر مرض الطاعون [4] سنة (18ه) على المشهور في خلافة عمر ﷺ، وهو المعروف بطاعون عَمَواس [5]. ومات فيه من الصحابة وغيرهم خلق كثير، بلغ عددهم قرابة خمسةٍ وعشرين ألفاً، وكان ذلك أول طاعون في الإسلام، فأخذهم كقعاص الغنم، وممَّن مات فيه من الصحابة معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ أجمعين.

ومات كذلك شرحبيل بن حسنة، والفضل بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم.

(انظر "التذكرة" للقرطبي رحمه الله: ص667)

5- فتح بيت المقدس:

والقدس هي أورشليم كما اسمتها التوراة، وقد أسَّسَها الكنعانيون من أكثر من خمسة آلاف سنة، وكانت تسمى "يورشالم"، وقد بشَّر الصادق المصدوق **صلى الله عليه وسلم** أمته بفتح المقدس، وجعل ذلك أمارة من أمارات السَّاعَة، ففي حديث عوف بن مالك ﷺ السابق وفيه:

"اُعْدد ستاً بين يدي السَّاعَة: موتي، ثم فتْح بيتِ المقدس..." (والحديث أخرجه البخاري كما مرَّ بنا)

وقد تمَّ ذلك للمرة الأولى سنة 16 هـ – 636 م في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، فبعد أن حاصر المسلمون المدينة طلب أهلها الصلح، واشترطوا أن يقدم عليهم عمر بن الخطاب بنفسه ليُبرِموا معه الاتفاق، فاستجاب لهم وسار إليهم، وصالحهم، وكان على رأسهم البطريرك "صفر نيوس"، فأمَّنهم على كنائسهم وصلبانهم وأموالهم، واشترطوا عليه ألا يدخلها أحد من اليهود، فوافق وكتب لهم كتاباً بذلك، وأشهد على ذلك قادة جيشه. وكان النصارى يلقون القمامات قرب الصخرة نكاية باليهود الذين اشتدت الوطأة عليهم، ولما دخل عمر ﷺ المدينة جاء إلى الصخرة، فأزال عنها الأوساخ والأتربة، ثم أقام المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو العمري اليوم. وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بُنِيَ المسجد الأقصى من جديد، وبُنِيَ مسجد الصخرة. (انظر البداية والنهاية لابن

---

(1) شهد عوف بن مالك راوي هذا الحديث موت النبي صلى الله عليه وسلم وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشاهد الموتان الذي كان بالشام، وشاهد قتال الجمل وصفين، وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان سنة 73 ه. ("التذكرة": ص 667،668)
(2) والمُوتان: (بضم الميم) هو لفظ مبالغة من الموت، أي: الموت الكثير.
(3) وقُعَاص الغنم: هو داء يأخذ الماشية (الغنم)، فيسيل من أنوفها شيء؛ فتموت فجأة.
(4) الطاعون: بثور أو أورام تظهر في الجسم مع التهاب شديد ومؤذٍ جداً، وهو مرض فتَّاك شديد العدوى.
(5) عَمَوس: (بفتح العين والميم) هي قرية بفلسطين تقعُ بين الرملة، وبيت المقدس.

كثير:55/7)

- تواضع في عزة

– وجدير بنا أن نذكر هنا كيف دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس وهو المنتصر

– فقد جاء في "مختصر السيرة" لعبد الله بن عبد الوهاب (ص 413) عن طارق بن شهاب قال: "لما قَدِمَ عمر ﷺ الشام، لقيه الجنود وعليه عمامة، وقد خلع خُفَّيه، وهو يخوض الماء آخذاً بزمام راحلته، وخُفَّاه تحت إبطه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، الآن تلقاك الأمراء وبطارقة الشام، وأنت هكذا؟! فقال: إنا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما طلبنا العزَّ بغيره، أذلَّنا الله".

فهؤلاء هم الصحابة الذين ربَّاهم النبي **صلى الله عليه وسلم** على عينه، وقد كان الحبيب **صلى الله عليه وسلم** قدوتهم، وانظر إلى حال النبي **صلى الله عليه وسلم** عندما دخل مكة ظافراً منتصراً

وقفة:

فُتِحَ بيت المقدس مرَّتين: مرة في زمن عمر بن الخطاب ﷺ كما مر بنا، والمرة الثانية فتحه صلاح الدين الأيوبي رحمه الله (عام 583 ه – 1187 م)

والمرة الثالثة آتية لا محالة، كما أخبر بذلك الحبيب النبي **صلى الله عليه وسلم**، حتى أن الشجر والحجر ينطق قائلاً: "يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي، تعالى فاقتله"

6- فتنة اقتتال المسلمين:

والفتنة في اللغة تدل على الابتلاء والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: "فتنت الفضة والذهب إذا أذبتها بالنار؛ لتُمَيِّز الرديء من الجيد". (لسان العرب: 317/13)

وهذا هو المعنى الاصطلاحي للفتنة، فهي ما يُبَيَّنُ به حال الإنسان من الخير والشر، أو هي معاملة تظهر الأمور الباطنة

– والفتن سنن الله في خلقه، والمقصد منها كما مر بنا: الاختبار والامتحان قال تعالى: **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ{2} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}** [العنكبوت:2،3]

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن ظهور الفتن وكثرة القتل من أشراط السَّاعَة.

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا تقوم السَّاعَة حتى يُقبَض العلم، وتكثُر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْج – وهو: القتل القتل – حتى يكثر فيكم المال فيفيض"

وقد كان ما أخبر به النبي **صلى الله عليه وسلم**، فظهرت الفتن، وكثر القتل بين المسلمين؛ حتى أنه كانت هناك مقتلة عظيمة بين المسلمين ظهرت بعد فتنة مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان– أمير البررة، وقتيل الفجرة–

فقد تسلَّط عليه الغوغاء من مصر والعراق، وحاصروه في داره، ومنعوه من الصلاة في المسجد، ثم تَسَوَّرُوا من دار رجلٍ من الأنصار حتى دخلوا عليه فقتلوه، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا، فرضي الله عن عثمان حيث صبر على هذا البلاء الذي أخبره عنه النبي **صلى الله عليه وسلم**.

فقد أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال:

"خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حائط من حوائط المدينة... ثم ذكر الحديث إلى أن قال: "فجاء عثمان، فقلت، كما أنت، حتى أَسْتأذنُ لك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ائذن له، وبشِّرْهُ بالجنة معها بلاء يصيبه".

وفي "سنن ابن ماجه" وفي "مسند الإمام أحمد" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: "وددتُ أن عندي بعض أصحابي، قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر ؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر ؟ فسكت، قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك عثمان ؟ قال: نعم، فجاء؛ فخلا به، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُكلِّمه ووجه عثمان يتغيَّر، قال قيس: فحدثني أبو سهلة مولى عثمان بن عفان أن عثمان قال يوم الدار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَهِدَ إليَّ عهداً فأنا صائر إليه" – وفي رواية: "وأنا صابر عليه –، قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم".

وأمر آخر جعل عثمان بن عفان ﷺ يصبر على هذا البلاء، ونهى الصحابة عن القتال، حتى لا تراق من أجله الدماء، فاختار أن يكون كخير ابني آدم.

ويدلك على هذا ما جاء في "الاستيعاب" عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ أنه قال:

"إني لمحصور مع عثمان ﷺ في الدار، قال: فَرُمِيَ رجلٌ منا، فقلت: يا أمير المؤمنين، الآن طاب الضرب، قتلوا منا رجلاً، فقال عثمان ﷺ: عزمت عليك يا أبا هريرة لما رميت نفسك، فإنما يراد نفسي، وسأقي المسلمين بنفسي، قال أبو هريرة ﷺ: فرميت بسيفي فلا أدري أين هو السَّاعَة".

وضحَّى عثمان بنفسه من أجل ألا يقع قتال ين أصحابه وبين هؤلاء الخارجين المارقين، ومع كون هذا لم يحدث إلا أنه وقع ما هو أشد منه، حيث وقعت الفتنة بمقتل عثمان وانتشرت الأهواء، وتشعبت الآراء وظهر الخلاف، حيث رأى الإمام علي ﷺ أنه لا بد من اختيار أميراً للمؤمنين، حيث تستقر الأمور ويكون القصاص بعد ذلك من قتلة

عثمان، بل تم هذا بالفعل فقد بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار، لكن ذهب قوم إلى الشام فلم يبايعوه، وطارت الأخبار بقتل الشهيد عثمان ﷺ، فحزن عليه المسلمون، ولاسيما أهل دمشق، وأتى البريد بثوبه بالدم، فنصب على منبر دمشق، ونعاه معاوية ﷺ إلى أهلها فبكوا، وتعاقدوا على الطلب بدمه، وكانوا ستين ألفاً. وخرجت عائشة رضي الله عنها تركب الجمل، وتنادي بالثأر لعثمان ﷺ، وكان معها طلحة والزبير رضي الله عنه واجتمع حولها الناس.

ووقع القتال أول الأمر بين عليّ ومعاوية رضي الله عنه في موقعة "الجمل"، ثم في موقعة "صفين" (36 ﻫ) التي انتهت بالتحكيم، واتفق حكمان من كلا الطرفين على ترك أمر الإمامة لكبار الصحابة، ولم يكن القتال أول الأمر في حسبانهم، ولم تكن تريده أية جهة منهم، بل كان كل منهم حريص على نصرة الحق والاقتصاص ممَّن قتل عثمان، وإنما حدث ذلك بسبب فتنة خفية دبَّرها المُرْجِفون، ذهب ضحيتها قرابة تسعين ألفاً.

وتخلَّف جماعة من سادات الصحابة عن القتال في الفتنة، منهم: سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وصهيب الرومي، وأبو موسى الأشعري ﷺ ورأوا السلامة في العزلة، وقالوا: إذا كان غزو الكفار قاتلنا.

فكل منهم مجتهد، دعواه نصرة الحق، ولو علم أنه مخطيء لما تلكَّأ في الرجوع عن موقفه، غير أن الصواب كان مع أمير المؤمنين علي ﷺ.

ومما يدل على هذا أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق عمَّار بن ياسر: "تقتله الفئة الباغية". وقد كان عمَّار في صف عليّ ﷺ، فعُلِم بهذا أن الفئة الباغية المقصود بها جيش معاوية ﷺ

وما وقع بين المسلمين من قتال في موقعة "الجمل"و"صفين"، فقد أخبر عنه الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة".

بل حدَّد الرسول صلى الله عليه وسلم العام الذي تقع فيه هذه الفتنة: فقد أخرج ابو داود والحاكم والإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تدور رحى الإسلام بعد خمس وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم – يقم لهم سبعين عاماً، قلت[1]: يا نبي الله مما بقى، أو ممَّا مضى ؟ قال: مما مضى". (السلسلة الصحيحة:976).

(1) قلت: والقائل هو ابن عمر.



وقد سمَّاها النبي **صلى الله عليه وسلم** رحى الإسلام تشبيها للحرب بالرحى، لأنها تطحن المقاتلين، كما يطحن الرحى الحب، وأشار الرسول **صلى الله عليه وسلم** في بقية الحديث إلى مدة حكم بني أمية، فقد كانت مدته سبعين عاماً.

تنبيهان:

أولاً: يجب علينا الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة ﷺ، والسكوت عما حصل بينهم من خلافات، فهذه فتنة سلمت منها أيدينا؛ فلتسلم منها ألسنتنا، وكذلك يجب علينا عدم البحث والتنقيب عن خلافاتهم أو نشرها بين العامة، لما لها من أثر سيء في إثارة الفتنة وإيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بهم.

ثانياً: وفي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن عوف بن مالك ﷺ قال:

"أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهو في قبة أدم، فقال: اُعدد ستاً بين يدي السَّاعَة- ثم ذكر من جملة الست فقال: ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته".

فذهب بعض أهل العلم إلى: أنها الفتنة التي وقعت بعد مقتل عثمان، وما كان بين علي ومعاوية رضي الله عنه

بينما ذهب بعض أهل العلم المعاصرين إلى: أن المقصود بهذه الفتنة التي تدخل كل بيت ! إنما هي وسائل الإعلام خصوصاً المرئية منها: كالتلفاز، والدش، والنت، وما تحمله هذه القنوات من فتن.

وربما يستدل لقولهم بما أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" بسند صحيح عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: "ليوشكن أن يُصيب عليكم الشر من السماء حتى يبلغ الفيافي، قيل: وما الفيافي يا أبا عبد الله ؟ قال: الأرض القفر".

والتلفاز اليوم يستقبل ما تمطره الأقمار الصناعية عليه من فتن ومجون، حتى الخيام في القفار والصحاري لم تسلم من هذه الفتنة، وإن كان هذا الاجتهاد في تأويل الحديث السابق يُحْمَد عليه صاحبه، إلا أننا نقول: الله أعلم بمراد رسوله **صلى الله عليه وسلم.**

يقول القرطبي رحمه الله في "التذكرة" (ص **612**):

"والذى ينبغي أن يقال به في هذا الباب: إن ما أخبر به النبي **صلى الله عليه وسلم** من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر.

7- ظهور الخـــــوارج:

ومن علامات السَّاعَة: خروج بعض الفرق المخالفة لمنهج النبي **صلى الله عليه وسلم** وصحابته الكرام، ومن هؤلاء فرق الخوارج؛ وقد أخبر عنهم النبي **صلى الله عليه وسلم**

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يخرج آخر الزمان قوم أحداث الأسنان(1)، سفهاء الأحلام(2)، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم (3)، يقولون من قول خير البرية(4)، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة"

وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفات في حديث آخر، وأضاف أنهم من شرار الخلق.

ففي "سنن أبي داود" و"سنن ابن ماجه" و"مستدرك الحاكم" و"مسند أحمد" عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيكون في أُمَّتِي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرَّمِيَّة، لا يرجعون حتى يرتدَّ السهم إلى فُوقه، وهم شرار الخلق والخليقة، طوبى لِمَن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه في شيء، مَن قاتلهم كان أولى بالله منهم، سيماهم التحالق"

فهم قوم يدَّعون العلم، ويجهدون أنفسهم بالعبادة، لكنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً(5)، أتاه ذو الخويصرة (6)، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال صلى الله عليه وسلم: ويلك ومَن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرتَ إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: دَعْهُ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه(7) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه(8) فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم(9)، آيتهم رجل

(1) صغار السن.
(2) المراد به صغار العقول.
(3) أي: لا يفهمونه ولا يعملون بما فيه.
(4) أي: يروون الأحاديث ولا يفهمون معناها.
(5) أي يوزع مالاً على الناس.
(6) وهو رجل من بني تميم.
(7) وهو قدحه.
(8) أي ريش السهم.
(9) والمراد هنا: أنهم يخرجون من الإسلام ببعض أفعالهم دون أن يشعروا، كما أن الصياد يرمى صيده كظبي أو غزال؛ فيصيب السهم هذا الغزال ويخرق جسده ويخرج من الناحية الأخرى؛ فيظن الصياد أنه لم يصبه وهو قد أصابه.

رجل أسود إحدى عضديه[1] مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر[2]، ويخرجون على حين فرقة من الناس" **(متفق عليه)**

وكان بداية خروجهم وظهورهم بعد انتهاء معركة "صفين" عندما اتفق أهل الشام والعراق على التحكيم بين الطائفتين، وعندما رجع علي بن أبي طالب إلى الكوفة؛ خرجوا عن طاعته؛ ونزلوا بقرية قرب الكوفة يقال لها: "الحروراء"، وكان عددهم ثمانية عشر ألف رجلٍ، وقيل: ستة عشر ألفِ رجلٍ، فأرسل علي بن أبي طالب ﷺ ابنَ عباس فناظرهم، وهذه المناظرة أوردها عبد الرزاق في "مصنفه" والحاكم في "مستدركه". **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنه:

"لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا ويقاتلوا علي بن أبي طالب، فكان لا يزال يجيء إنسان، فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك، فيقول: دعوهم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلما كان ذات يوم أتيته صلاة الظهر، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة [3]، لعلِّي أدخل على على هؤلاء القوم فأُكلِّمهم، فقال: إني أخاف عليك، فقلت: كلا. وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً؛ فأَذِن لي، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن. وترجَّلتُ فدخلتُ عليهم نصف النهار، فدخلتُ على قومٍ لم أر قط أشد منهم اجتهاداً: جباههم قرحة من السجود. وأياديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قمص مرحضة مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر، فسَلَّمتُ عليهم، فقالوا: مرحباً بابن عباس، ما جاء بك؟ فقلت: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً: فإن الله ﷻ يقول: **{بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}**[الزخرف:58]، فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنَّه، فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد وهو أعلم بتأويله، قالوا: ثلاثاً، قلت: هاتوا، قالوا: أما إحداهن، فإنه حكَّم الرجال في أمر الله، وقــد قال الله ﷻ:**{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ}**[الأنعام:57]، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله ﷻ؟ فقلت: هذه واحدة وماذا؟

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل وقتل، ولم يسبِ ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين فَلِمَ حل لنا قتالهم وقتلهم، ولم يَحل لنا سبيهم؟ قلت: وما الثالثة؟ قالوا: فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين، قلت: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: كفانا هذا، قلت لهم: أما قولكم: حكَّم الرجال في أمر الله؛ أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا، فإذا نقض قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، وتلا هذه الآية:

{لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ

(1) أي ما بين مرفقه وكتفه.
(2) أي مثل قطعة اللحم تضطرب وتتحرك.
(3) يعني: أخِّرها.



مِّنكُمْ}[المائدة:95]

وفي المرأة وزوجها: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا} [النساء:35]، فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وفي حقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة، فأيهما ترون أفضل؟! قالوا: بل هذه، قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل و لم يسبِ و لم يغنم، أَفَتَسْبُون أمَّكُم عائشة رضي الله عنها؟ فوالله لئن قلتم ليست بأمنا، لقد خرجتم من الإسلام، ووالله لئن قلتم لنسبينها، ونستحل منها ما نستحل من غيرها، لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين؛ لأن الله ﷻ قال: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب:6]، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمَن ترضون: أن النبي يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، فقال لعليّ ﷺ: اكتب لهم كتاباً، فكتب لهم عليّ: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امحُ يا عليّ اكتب: "هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله" فوالله لرسول الله خير من عليّ وقد محا نفسه، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا".

ومن معتقدات الخوارج:

1- تكفير مرتكب الكبيرة (مثل الزاني، وشارب الخمر،...) وأنه يخلد في النار واعتقادهم هذا ضلال مبين، والحق أن المسلم إذا ارتكب هذه الكبائر لا يكفر، لكنه يكون عاصياً فاسقاً بفعلها، وعليه التوبة والإقلاع عن معصيته.

2- تكفير عليّ ومعاوية ﷺ وكثير من الصحابة الذين رضوا بالتحكيم ﷺ جميعاً

3- الخروج على الحُكَّام الفُسَّاق الذين لم يثبت وقوعهم في الكفر.

فهم جهلاء، أحكامهم جائرة، وأراؤهم قاصرة، يسفكون ويستبيحون دماء مخالفيهم من المسلمين؛ فقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت، وشَقُّوا بطن زوجته، فلما علم عليّ ﷺ سألهم: مَن قتله ؟ فأجابوا قائلين: كلنا قتله. فتجهَّز عليّ لقتالهم، والتقى معهم في موقعة "النهروان" فهزمهم شر هزيمة، إلا أنهم لهم ذيول في كل مكان، و لم يخلُ منهم زمان... نسأل الله تعالى أن يقصم رقابهم، ويخلصنا من شرورهم.

8- خروج نار من أرض الحجاز:

ومن علامات السَّاعَة: وجود حوادث طبيعية أخبر عنها خير البرية **صلى الله عليه وسلم**، وأنها ستكون بعده، ومن ذلك: البركان الشديد الذي وقع قرب المدينة المنورة

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز، تضيء لها أعناق الإبل[1] ببصرى[2]"

وأخرج ابن عدي في "الكامل" عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تقوم السَّاعَة حتى يسيل وادٍ من أودية الحجاز بالنار، تضيء له أعناق الإبل ببُصرى"

وأخرج الطبراني عن حذيفة بن أُسَيد ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تخرج نار من رومان من ركوبة[3] تضيء منها أعناق الإبل ببُصرى"

وقد نصّ العلماء والمؤرخون على: أن هذه العلامة ظهرت وخرجت هذه النار(سنة 654ه الموافق 1256/5/29م) من جانب المدينة المنورة الشرقي على بعد مرحلة منها، كما ذكر المؤرخون وأفاضوا في وصفها، وقد تقدمها زلازل مهولة، كان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جُمادى الآخرة وكانت خفيفة إلى ليلة الثلاثاء، وفي يوم الأربعاء ظهرت ظهوراً شديداً، فلما كان يوم الجمعة نصف النهار، ثار في الجو دخان متراكم، ثم شاعت النار، وعلا ضوؤها حتى غشي الأبصار، وكانت ترى في صورة سيل عظيم من النار إلى جهة الوادي، له دوي كدوي الرعد، وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم.

(1) تضيء لها أعناق الإبل: أي: يبلغ ضوؤها إلى أعناق الإبل التي تكون ببصرى.

(2) و"بصرى" كما يقول النووي في "شرحه على مسلم" (30/18): "مدينة معروفة بالشام ، وهي مدينة حوران (في سوريا)، بينهما وبين دمشق ثلاث مراحل، وهي تبعد عن المدينة 985 كم، وقد ذكر المؤرخون أن الأمر وقع كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أضاءت أعناق الإبل ببصرى، وكان طلبة العلم يقرءون على ضوئها في كثير من البلاد النائية عن المدينة.

(3) ركوبة: ثنية صعبة المرتقى في طريق المدينة إلى الشام.

قال ابن كثير رحمه الله: "أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي، قال: أخبرني والدي صفي الدين مدرس مدرسة بصرى، أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها النار، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار.اهـ

وقال ابن كثير أيضاً متحدثاً عنها:

"كان ظهور النار من أرض الحجاز، والتي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، كما نطق الحديث، وقيل: إن النار بقيت ثلاثة أشهر، وكانت نساء المدينة يغزلن على ضوئها.اهـ

واستمرت هذه النار تسيل سيلاً ذريعاً في الوادي، إلى أن انطفأت في السابع والعشرين من شهر رجب، وقد تركت الأرض من الحجر الأسود قدر ارتفاع رمح.

(انظر البداية والنهاية:191/13)، (شرح مسلم للنووي:28/18)، (النهاية في الفتن والملاحم:11/1).

ونقل القرطبي رحمه الله كما في كتابة "التذكرة"(ص527) عن أبي شامة واصفًا الواقعة:

"لما كنت ليلة الأربعاء 3 جُمادى الآخرة سنة 654 هـ، ظهر بالمدينة المنورة دوي عظيم، ثم زلزلة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة من الشهر المذكور.

ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة - موضع في المدينة - قريبة من بني قريظة، فبصرناها من دُورِنَا من داخل المدينة، وكأنها عندنا نار عظيمة سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وهي ترمي بشررٍ كالقصر. اهـ

وقال الإمام النووي رحمه الله كما في "شرح صحيح مسلم" (28/18):

"وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نار عظيمة من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بخروجها.

9- فتح القسطنطينية الأول:

بشَّر النبي **صلى الله عليه وسلم** أمته بفتح القسطنطينية عاصمة البيزنطيين، وهي مدينة بناها الملك **"قسطنطين"**، فنسبت إليه، وتعرف أيضاً بمدينة قيصر، وبشَّر النبي **صلى الله عليه وسلم** كذلك بفتح "رومية" عاصمة "إيطاليا" ومقر بابا الكاثوليك.

- أخرج الإمام أحمد عن أبي قبيل قال: "كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً، القسطنطينية[1] أو رومية؟[2]، فدعا عبد الله بصندوق له حِلَق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب؛ إذ سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً؟ أقسطنطينية أو رومية؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مدينةُ هِرَقْل تُفْتَحُ أولاً، يعني قسطنطينية" (وصححه الألباني في الصحيحة: رقم 4)

- وأخرج البخاري عن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول جيش من أُمَّتِي يركبون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من أُمَّتِي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم".

ولم يقل **صلى الله عليه وسلم**: ينتصرون... أو نحو ذلك، وإنما بشَّرهم بالمغفرة، وغزا المسلمون القسطنطينية في خلافة معاوية ﷺ، وكان أميرهم يزيد بن معاوية، وكان في العسكر أبو أيوب الأنصاري ﷺ، فاستُشهِد ودُفِن هناك، ولم يتمكَّن المسلمون من فتحها، وفي خلافة عبد الملك بن مروان غزاها المسلمون ثانية بقيادة ابنه مسيلمة، وحاصروها عدة سنين، فلم يتمكَّنوا من فتحها، لقوة تحصينها ومناعة أسوارها، وكان القادة والجيوش الإسلامية يغزون هذه المدينة لينالوا شرف دعوة النبي **صلى الله عليه وسلم**

- فقد أخرج الإمام أحمد عن بشر الغنوي ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"لتُفْتَحَن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".

وقد تم فتح القسطنطينية عام 857هـ- 1453م على يد السلطان العثماني[3] "محمد الثاني"، المعروف بالفاتح، فنال مع جنوده البشارة الكريمة من النبي **صلى الله عليه وسلم** وسمَّاها (إسلام بول) أي "مدينة الإسلام".

---

(1) قسطنطينية: هي بيزنطة وإسطنبول.
(2) رومية: هي روما عاصمة إيطاليا.
(3) يرجع أصل العثمانيين إلى قبيلة تركية اسمها (قاي خان) هاجرت من موطنها بقيادة زعيمها "سليمان شاه"، ثم تولّى الزعامة بعد وفاته ابنه "أرطغرل"، فسار بمَن معه إلى الأناضول، حيث السلاجقة يحكمون، فجاهدوا معهم ضد البيزنطيين، ولما تُوفِّي "أرطغرل" سنة 687هـ خلفه ابنه عثمان، ثم فتح مدينة (قرة صو) في الأناضول واتخذها عاصمة له، ثم بويع بالخلافة، وإليه تنسب الدولة وسلاطينها، وقد استمرت قروناً عديدة.



وهذا الفتح تهيئة للفتح العظيم الآخر، قبل ظهور الدَّجَّال، كما سيأتي إن شاء الله.

(المسيح المنتظر ونهاية العالم: ص 29)



10- كثرة المال بين الناس واستفاضته:

من علامات السَّاعَة كثرة المال، حتى إن الرجل يُعْطَى المائة دينار من الذهب فيراها قليلة، ويبحث صاحب المال عن رجل فقير يقبل منه صدقة ماله فلا يجد، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعوف بن مالك، وكان آنذاك في غزوة خيبر: "اُعْدد ستاً بين يدي السَّاعَة" فذكرها، ومنها: "استفاضة المال، حتى يُعْطَى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً". (البخاري)

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"لا تقوم السَّاعَة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض حتى يُهِمَّ ربّ المال[1] مَن يقبل منه صدقةً، ويُدعى إليه الرجل، فيقول: لا أَرَبَ لي فيه[2]"

وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم السَّاعَة حتى يكثر فيكم المال ويفيض، وحتى يخرجَ الرجل بزكاة ماله، فلا يجدُ أحداً يقبلها منه".

أخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"تصدَّقوا، فسيأتي على الناس زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد مَن يقبلها"

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"لا تقوم السَّاعَة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل... القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض".

وأخرج الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"ليأتينَّ على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها".

وأخرج البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:
"ولئن طالت بك حياة لَتَرَيَنَّ الرجلَ يخرجُ ملءَ كفِّهِ من ذَهَبٍ أو فِضَّة، يطلبُ مَن يقبله منه؛ فلا يجدُ أحداً يقبلُهُ منه".

---

(1) يُهِمُّ ربُّ المال: أي: يحزنه ويصاب بالهَمِّ؛ لأنه لا يجد المحتاج الذي يبذل له المال".
(2) لا أرب لى فيه: أى لا حاجة لي فيه.

وأخرج البخاري ومسلم عن حارثة بن وهب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"تصدَّقوا، فيوشك الرجل يمشي بصدقته، فيقول الذي أُعْطِيها: لو جئتنا بالأمس قبلتها، فأما الآن، فلا حاجة لي بها، فلا يجدُ مَن يقبلها"
وهذه العلامة قد تحقَّقت في عهد الصحابة بسبب الفتوحات واقتسامهم لأموال الفرس والروم، ثم فاض هذا المال في زمن عمر بن عبد العزيز **رحمه الله**.

وقد جاء في "فتح الباري"(83/13): أن يعقوب بن سفيان أخرج في "تاريخه" من طريق عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال:
"لا والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم، فلا يجد فيرجع به، قد أغنى عمرُ بن عبد العزيز الناسَ".
فائدة:
وستقع هذه العلامة في آخر الزمان حيث أشار النبي **صلى الله عليه وسلم** بأن المال سيكثر زمن المهدي الذي يحثو المال حثواً، أي يجمع بكفيه الذهب والفضة، ويعطيه الناس دون عددٍ ولا حساب لكثرته ووفرته، وتخرج الأرض بركتها، ويغتني الناس لعموم البركة والخير، حتى أن الأرض تخرج من بطنها أمثال الأُسْطُون من الذهب والفضة.

وقد أخرج الإمام مسلم عن سعيد الجريري عن أبي نضرة قال:
"كنا جلوسا عند جابر ﷺ، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون في آخر أُمَّتِي خليفة يحثي المال حثياً لا يعدّه عدداً، قلت: – أي سعيد الجريري – لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبد العزيز؟، فقالا: لا [1]"

(1) قال الحافظ في "الفتح" (282/3): والظاهر أن ذلك يقع في زمن كثرة المال وفيه قرب السَّاعَة كما قال ابن بطال.
وأورد الحافظ احتمالات للزمان الذي يقع فيه هذا –"الفتح" (82/13) – فقال رحمه الله:
"إن ذلك يقع في الزمان الذي يستغني فيه الناس عن المال، إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة، فلا يلوي على الأهل فضلاً عن المال، وذلك في زمان الدَّجَّال، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ، بحيث يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره، وذلك في زمن المهدي وعيسى ابن مريم، وإما عند خروج النار التي تسوقهم إلى المحشر، فيعز حينئذ الظَّهر، وتباع الحديقة بالبعير الواحد، ولا يلتفت أحدٌ حينئذ إلى ما يثقله من المال، بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله، وهذا أظهر الاحتمالات وهو المناسب لصنيع البخاري، والعلم عند الله تعالى..

11- توقُّف الجزية والخراج[1]:

كانت الجزية التي يدفعها أهل الذمة في الدولة الإسلامية، والخراج الذي يدفعه مَن يستغل الأراضي التي فتحت في الدولة الإسلامية من أهم مصادر بيت مال المسلمين، وقد أخبر الرسول **صلى الله عليه وسلم** بأن ذلك سيتوقف، وسيفقد المسلمون بسبب ذلك مورداً إسلامياً مهماً،

ففي "صحيح مسلم"عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"منِعَت العراق درهمها وقفيزها[2]، ومنعت الشام مُدها[3] ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتُّم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم". ثم قال أبو هريرة: "شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه".

والقفيز والمد والإردب مكاييل لأهل ذلك الزمان في تلك البلاد، وبعضها لا يزال معروفاً إلى أيامنا، والدرهم والدينار أسماء للعملات المعروفة في ذلك الوقت، ومنع تلك البلاد للمذكورات في الحديث بسبب استيلاء الكفار على تلك الديار في بعض الأزمنة، فقد استولى الروم، ثم التتار على كثير من البلاد الإسلامية، وفي عصرنا احتل الكُفَّار ديار الإسلام، وأذهبوا دولة الخلافة الإسلامية، وأبعدوا الشريعة الإسلامية عن الحكم، قال النووي في تعليقه على الحديث: "الأشهر في معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين.

ويدل على هذا ما رواه مسلم من حديث أبي نضرة قال:

"يوشك أهل العراق أن لا يُجْبَى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَل العجم يمنعون من ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجْبَى إليهم دينار ولا مُدْي، قلنا: من أين ذاك ؟ قال: من قبَل الروم، ثم سكت هُنَيْهَة..." الحديث.

وقيل: إن منع الجزية والخراج من هذه البلاد؛ لأن أهل هذه البلاد يرتدّون آخر الزمان، فيمنعون ما لديهم من الزكاة وغيرها، **وقيل**: معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان، فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج... وغير ذلك.اهـ (انظر شرح النووي على مسلم:20/18)

(1) انظر "القيامة الصغرى" لعمر سليمان الأشقر رحمه الله.

(2) القفيز: مكيال معروف لأهل العراق، قال الأزهري: "هو ثمانية مكاكيك، والمكوك: صاع ونصف، ويقدر بخمسة أوسق تقريباً.

(3) المُدي: مكيال لأهل الشام، "يسع خمسة وأربعين رطلاً، وقيل: يسع تسعة عشر صاعاً.

12- شيوع وانتشار الأمن والرخاء في البلدان:

عاش المسلمون زمناً في مكة والمدينة، وهم ما بين قتال الأعداء وترقُّب لحروب ومعارك، فأخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** أنه مع تقدُّم السنين واقتراب السَّاعَة؛ سيكثر الأمن ويعم الرخاء.

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تعود أرض العرب مروجاً وانهاراً، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضُلال الطريق[1] وحتى يكثر الهرج، قالوا: ما الهرج يا رسول الله ؟ قال: القتل" (قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح)

ويؤيد هذا ما أخرجه البخاري من حديث خبَّاب بن الأرت ﷺ قال:

"أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدة — فقلت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا، فقعد وهو مُحْمَرٌّ وجهه، فقال: والله ليتمن الله هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون".

وأخرج البخاري أيضاً عن عدي بن حاتم ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:

"يا عدي، هل رأيتَ الحِيَرةَ؟[2] قلت: لم أرها وقد أُنْبِئْتُ عنها، قال: فإن طالت بك حياةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينةَ ترتحلُ من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله، يقول عدي: قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طَيِّيء الذين قد سَعَّرُوا البلاد، وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولئن طالت بك حياة لَتُفْتَحَنَّ كنوزُ كِسْرى: قلتُ: كسرى بن هُرْمُز ؟ فقال النبي: كسرى بن هرمز، قال عدي: فرأيتُ الظَّعِينةَ ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز".

---

(1) لا يخاف إلا ضُلال الطريق: يعني لا يخاف من قُطَّاع طريق ولا لصوص، وإنما يخاف أن يضل الطريق ويضيع فقط، أما على نفسه وماله فهو أمن.

(2) الحِيرة: مدينة في العراق على ثلاثة أميال من الكوفة، وقد وقعت هذه العلامة في زمن الصحابة ﷺ، وستقع كذلك في زمن المهدي وعيسى عليه السلام.

وقفة:

ستقع هذه العلامة كذلك في آخر الزمان، كما أخبر الحبيب العدنان **صلى الله عليه وسلم**

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"الأنبياء إخوة لعلات[1]، أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل – ثم ذكر في الحديث:- ويهلك الله في زمانه المسيح الدَّجَّال ثم تقع الأمانة[2] على الأرض؛ حتى ترتع[3] الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيَّات لا تضرهم".

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"والله لينزلن عيسى ابن مريم حكماً عادلاً...، ثم قال: وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص[4]؛ فلا يُسعَى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال، فلا يقبله أحد"

13- قتال الترك (التتار والمغول):

أخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** بأن قتال كبير سيكون بين المسلمين وبين الترك، ووصف النبي **صلى الله عليه وسلم** الترك بأوصاف دقيقة؛ فلم يخرجوا عما قال، ووقع ما أخبر به النبي **صلى الله عليه وسلم** إبَّان هجوم المغول والتتار على البلاد الإسلامية واجتياحهم لها.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا قوماً، نعالهم الشعر[5]، ولا تقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا قوماً، كأن وجوههم المَجَانُّ[6] المُطْرَقة[7]"

– قال سفيان: زاد في رواية: "صغار الأعين، ذُلف الأنوف[8]"

---

(1) علات: أي ضرائر، قال ابن الأثير في "النهاية" (291/3):"أخوة لعلات": الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، وأراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة.

(2) الأمانة: أي الأمنة والسلام..

(3) ترتع: أي تلعب. .

(4) القلاص: الناقة الشابة..

(5) نعالهم الشعر: أي من جلود، فيها شعر الحيوانات غير مدبوغة..

(6) المَجَانُّ: جمع "مِجنّ"، وهو الترس، فشبه النبي صلى الله عليه وسلم وجوههم بالترس (وهو ما يحمله في يده يتَّقِي به ضربات السيوف والنبال) يعني: أن وجوههم مستديرة.

(7) المُطْرَقة: من أطرقَ، وهي التي عُليت بطارق، وهو الجلد الذي يغشى المجن، ومنه طارق النعل، إذا صيرها طاقاً فوق طاق، وركب بعضها فوق بعض، فشبه وجوههم في عرضها، ونتوء وجناتها بالترس، وقد أُلْبست الأطرقة، فمعنى "المَجَانُّ المُطْرَقة" أي: التروس التي كُسيت جلْداً، وشبه وجوههم بالترس لبسطتها وتدورها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

(8) ذلْف الأنوف: الذَلَف في الأنف: استواء في طرفه، وليس بالغليظ الكبير، والمقصود: هو انخفاض قصبة الأنف وانفراشه.
وقال النووي في "شرح مسلم" (761/5): معناه فطس الأنوف، يعني: قصارها مع انبطاح.



- وفي رواية للبخاري ومسلم: "تقاتلون بين يدي السَّاعَة قوماً نعالهم الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة، حُمْر الوجوه، صغار الأعين".

- عن عمرو بن تغلب ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"إن من أشراط السَّاعَة، أن تقاتلوا قوماً ينتعلون نِعال الشَّعر، وإن من أشراط السَّاعَة أن تقاتلوا قوماً عِراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة" (رواه البخاري وأحمد)

والمقصود بهؤلاء: هم الترك (التتار والمغول) الذين اجتاحوا البلاد الإسلامية عام (656هـ-1258م) كما جاءت الأحاديث توضح ذلك.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك [1] صغار الأعين، حُمر الوجوه، ذُلْف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة".

- ولمسلم: "لا تقوم السَّاعَة حتى يقاتل المسلمون الترك، قوماً وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر".

وفي رواية لمسلم أيضاً وفيها:

"لا تقوم السَّاعَة حتى يقاتل المسلمون التُّرك، قوماً وجوههم كالمجان المطرقة، يلبسون الشَّعْر ويمشون في الشعر".

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا خُوزاً[2] وكَرْمَانَ[3] من الأعاجم: حُمْر الوجوه، فُطْس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر".

---

(1) والترك ليسوا بسكان تلك المنطقة الجغرافية التي أتى التقسيم بها بعدُ - أي ليسوا سكان "تركيا" الحالية في إقليم الأناضول المعروف بـــ(أسيا الصغرى)، ولكن المقصود بـــ(الترك) هم سكان شمال أسيا مما يتاخم أوربا، ومنهم: الصين، ومنغوليا، وفيتنام، وكوريا، وتايلاند، وأجزاء من سيبيريا.

وقد ذكر المؤرخون: أن لنوح ﷺ ثلاثة أولاد ذكور: حام وهو أبو الحبش، وسام وهو أبو العرب والفرس والروم، ويافث وهو أبو الترك والصقالية.(جرت العادة أن يطلق اسم الترك على الشعوب التي تقطن وراء جبل القعاس).

(2) خوزاً: هي من بلاد الأهواز من عراق العجم، بلاد خوزستان.

(3) كَرْمان: هي بلاد مشهورة من بلاد العجم، يحدها من الغرب بلاد فارس، ومن الشمال خاراسان (انظر فتح الباري: 6 /607)

ويشبه هذا الوصف: أهل الصين واليابان وكوريا ومَن حولهم، فهم فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم عريضة مستديرة.

أخرج أبو داود عن أبي بكرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"ينزل ناس من أُمَّتِي بغائط[1] يُسمُّونه البصرة [2] عند نهر يقال له: دجلة، يكون عليه جسر يكثر أهلها، وتكون من أمصار المهاجرين – وفي رواية: "وتكون من أمصار المسلمين"– فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء[3]، عِراض الوجوه، صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر، فيتفرق أهلها ثلاث فرق: فرقةٌ يأخذون أذناب البقر والبرية، وهلكوا، وفرقةٌ يأخذون لأنفسهم، وكفروا، وفرقةٌ يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم، ويقاتلونهم وهم الشهداء".

(والحديث حسَّنه عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على "جامع الأصول" وضعَّفه البعض؛ لأن فيه سعيد بن جمهان، وثقه عدد من أهل العلم إلا أن البخاري قال عنه: في حديثه عجائب).

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه ﷺ قال:

"كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعناه يقول: إن أُمَّتِي يسوقها قوم عِراض الوجوه، صغار الأعين، كأن وجوههم الجُحَف، ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب، أما السائقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأما الثانية، فيهلك بعض، وينجو بعض، وأما الثالثة، فيصطلمون من بقي منهم[4]، قالوا: يا نبي الله، مَن هم؟ قال: هم الترك، قال: أما والذي نفسي بيده ليربطُن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين" (أخرجه أحمد) [5]

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد أيضاًعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تقوم السَّاعَة حتى تقاتلوا قوماً صغارَ الأعين، عِراض الوجوه، كأن أعينهم حدق الجراد، كأن وجوههم المجانّ المطرقة، ينتعلون الشَّعر، ويتخذون الدرق، حتى يربطوا خيولهم بالنخل" (سنده صحيح)

قال النووي رحمه الله: "وقد وُجد قتالُ هؤلاء الترك بجميع صفاهم التي ذكرها صلى الله عليه وسلم: "صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلْف الأنوف، عِراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر" فوجدوا بهذه الصفات

---

(1) الغائط: المطمئن من الأرض.

(2) البصرة: الحجارة البيض الرخوة، وبها سُمِّيَت البصرة..

(3) بنوا قنطوراء: هم الترك، كما قال الخطابي: ويُقال: إن قنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم ﷺ ولدت له أولاداً، جاء من نسلهم الترك"، فبعد أن هاجم المغول والتتار البلاد الإسلامية، قضوا على الخلافة العباسية، فدمَّروا بغداد، وألقوا الكتب العلمية في نهر دجلة، حتى اسْوَدَّ ماؤه وقتلوا آخر خلفاء بني العباس عام 656ه، وهو المعتصم بالله، ثم تابعوا هجومهم، وربطوا خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم تماماً.

(4) فيصطلمون من بقي منهم: أي: فيحصدون من بقي في المرة الثالثة، والاصطلام: افتعال، من الصلم: وهو القطع.

(5) قال أبو الخطاب عمر بن دحية: "هذا سند صحيح" اهــ، ورواه أبو داود رقم (4305) في "الملاحم، باب في قتال الترك": "وفي إسناده بشير بن المهاجر الغنوي الكوفي، وهو صدوق لين الحديث، وباقي رجاله ثقات. (انظر جامع الأصول بتعليق عبد القادر الأرناؤوط:377/10)("التذكرة": ص 676)

كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات. (شرح مسلم: 37/18)

ذكر القرطبي في "التذكرة": "أن الترك خرجوا ثلاث مرات على المسلمين، وكان خروجهم الأخير تدمير بغداد، وقتلهم الخليفة والعلماء والفضلاء، ثم أوغلوا في البلاد حتى ملكوا الشام مدة يسيرة، ودخل رعبهم البلاد المصرية، إلى أن تصدَّى لهم الملك المظفر الملقب بـــ(قطز) في معركة "عين جالوت"، فتفرَّقت جموعهم، وكفى الله المؤمنين شرهم.

وقفة وعظة:

نعلم جميعاً أن النجاة هي في طاعة الرحمن ورسوله العدنان **صلى الله عليه وسلم**، وأن الذلة والصَّغار كُتِبتْ على مَن يخالف شرع الرحمن.

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"وجعل الذلة والصغار على مَن خالف أمري"

وقد خالف المسلمون أمر الحبيب الأمين صلى الله عليه وسلم، عندما قال في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسند حسن "باب ما جاء في النهي عن تهييج الترك والحبشة:

"اتركوا الترك ما تركوكم" (صحيح أبي داود:3610) و(هو في السلسلة الصحيحة:772)

وعند النسائي بلفظ: "دَعوا الحبشة ماوَدعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم".

(حسنه الألباني في "صحيح سنن النسائي":3176)

تنبيه: الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الأوسط والكبير" عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول مَن يسلب أُمَّتِي ملكهم وما خولهم الله، بنو قنطوراء" وهذا الحديث رواه الطبراني كذلك عن معاوية مرفوعاً بطرق يشهد بعضها لبعض، وذكر هذا الحديث الحافظ في "الفتح" (609/6) بلفظ: "إن بني قنطوراء أول مَن يسلب أُمَّتِي ملكهم" لكن هذا الحديث ضعيف جداً، بل حكم عليه بعض أهل العلم: بأنه موضوع.



فلما خالفوا التوجيه النبوي بعدم تركهم للترك؛ جاءت العاقبة عنيفة مريرة، حيث اجتاح التتارُ ديار الإسلام في كارثة لم يسبق لها مثيل في التاريخ

يقول ابن كثير رحمه الله كما في "البداية والنهاية" (87/7): "وقد قَتَلَ "جنكيز خان" من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كان البُداءة من "خوارزم شاه"، فإنه لما أرسل جنكيز خان تُجاراً من جهته معهم بضائع كثيرةٌ من بلاده، فانتهوا إلى إيران، فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه، وأخذ جميع ما كان معهم، فأرسل جنكيز خان إلى خوارزم شاه يستعلمه: هل وقع هذا الأمر عن رضًى منه، أو أنه لا يعلم به، فأنكره؟ وقال فيما أرسل إليه: "من المعهود من الملوك أن التُّجَّار لا يقتلون؛ لأنهم عمارةُ الأقاليم، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك، فقتلهم نائبك، فإن كان أمراً أمرتَ به، طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تُنْكِرُه، وتقتصُّ من نائبك.

فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيز خان، لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عُنُقِهِ، فأساء التدبير، وقد كان خَرَّفَ وكَبُرَتْ سِنُّه، فلما بلغ ذلك جنكيز خان، تجهَّز لقتاله، وأخذ بلاده، فكان بِقَدَرِ الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يُسْمع بأغرَبَ منها، ولا أبشع.اهـ

وقد زحف التتار في نحو مائتي ألف مقاتل بقيادة "هولاكو" إلى بغداد سنه 656ه، وحاصروها حصاراً محكماً، وضيقوا عليها الخناق، ثم وضعوا السيف في رقاب أهلها، فقتلوا الخليفة العباسي "المستعصم بالله" قتلة شنيعة بعد أن أعطوه الأمان، وقتلوا جميع مَن قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ومنهم العلماء والأئمة والأمراء، وارتكبوا الفواحش، ودخل كثير من الناس في الآبار، وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب فيفتحها التتار، إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم؛ فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة؛ فيقتلونهم بالأسطح، حتى تجرى الميازيب[1] من الدماء في الأزقة، وكذلك في المساجد والجوامع والرُّبط، و لم ينجُ منهم أحدٌ سوى أهل الذِّمة من اليهود والنصارى، ومَن التجأ إليهم، أو إلى الوزير ابن العلقمي الرافضي، وهو الذي دعا ملك التتار لدخول بغداد، وقد ظل التتار على هذه الحال أربعين يوماً؛ حتى أصبحت عاصمة الخلافة خاوية على عروشها، وسالت دروبها بدماء القتلى، وانتنت الجيف، وحلَّ بها وباءٌ شديد، سرت عدواه إلى بلاد الشام، وقُدِّرت أعداد القتلى من المسلمين في بغداد بثمانمائة ألف، وقيل: ألف ألف وثمانمائة، وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفسٍ، وهذا عدا مَن قُتِل بيد التتار في البلاد الجزرية، وحلب، وحمص، وحماه، ودمشق، ونابلس، وغزة... وغيرها،

(1) الميازيب: جمع "ميزاب" وهو الذي يُجْعَل من الخشب أو الحديد... ونحوه، ويوضع في أطراف الأسطح، فيسيل منه الماء ويُضْبَط أيضاً "مزراب".



فضلاً عما أوقعوه من مذابح ودمار في البلاد المشرقية، التي مروا بها قبل دخول العراق، مثل بلاد ما وراء النهر، وخراسان، وطبرستان، وأذربيجان... وغيرها من المدن والأقاليم الإسلامية، وكانوا لا يمرون ببلد إلا عملوا على قتل رجالها وسبي نسائها، واسترقاق صبيانها، ونهب أموالها، وتخريب ديارها، وحرق عمرانها، وطمس آثارها، ولله الأمر من قبل ومن بعد، **وكل هذا بشؤم مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:**

"اتركوا التركَ ما تركوكم"

ولا يخفى علينا ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر، فهو صورة مصغرة مما وقع من "جنكيز خان" حيث أوقع العدو الدَّمار والهلاك والبوار والدمار والتقتيل والتشريد والتجويع، ونسف المباني، وإهلاك البنية التحتية، وما أشبه الليلة بالبارحة.

وبعـــد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله ﷻ أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّـــي ومـــن الشـــيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيـــق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.........

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك